

"اضحك، تضحك لك الدنيا!"

قبل ايام عثرت على موقع على الشبكة العالمية، غريب بعض الشيء ، وبفضولي المعهود لمن يعرفني تمعنت في ما كتبه القائمون على الموقع، فوجدت الكلام جميلا لا يختلف عليه اي عراقي يحب العراق، لكنني اعجبت حق الاعجاب بالموقع رغم بساطته الواضحة، حيث يبدو لأي شخص يزوره ، أنه موقع جديد، ثم اكتشفت لاحقا أنه لم يكد يمر عليه سوى أسبوع. أجمل ما في الموقع فكرته ، وهذا ما دفعني للتواصل مع القائمين عليه كي استفسر منهم عن الاسباب التي جعلتهم يفكرون به ، هذا إلى جانب أسئلة أخرى كانت تدور في ذهني بعد ان تصفحت الموقع وقرأت ما فيه. وحتى لا اطيل عليكم، فالموقع هو **شباب العراق للاحصاء والمسح**.

[www.iraqsurveys.com](http://www.iraqsurveys.com)

لا اخفيكم أنني كنت متردداً بعض الشيء في التسجيل في الاحصاء الذي يريدون انجازه، وأول ما جال في خاطري أن **"هذول من يا حزب؟"**، ولكن بعد مراسلاتي معهم والاجابات الجميلة والمقنعة التي تلقيتها، ايقنت ان الشباب لا يمثلون إلا انفسهم، وبأن الموقع تم إطلاقه للتواصل الاجتماعي بهدف نفع العراقيين في المهجر واجمل ما شعرت به في رسائلهم هو شخصية الشاب العراقي "أيام كبل" لقد أعادوني إلي الأيام الخوالي، أيام ما كانت الناس تتسابق لفعل الخير دون مسعى لربح أو جاه. "هم ما أطول عليكم!" سجلت معهم وتمنيت لهم التوفيق وقدمت لهم بعض الاقتراحات التي اتمنى أن يقوموا بها بمرور الوقت.

موضوعي ليس الموقع بحد ذاته، لكنني اكتشفت شيئاً مهما جداً عن طريق الصدفة، فقد ذكرت في احدى الرسائل التي ارسلتها اليهم: "لماذا كانت الصور الموجودة على موقعهم حزينة؟"، فأجابني أحدهم إجابة لم أصدقها للوهلة الأولى ، فشكرته وبدأت رحلة التقصي التي انتهت بهذه المقالة (ان جاز تسميتها كذلك!).

ذهبت الى موقع Ask.com و Google.com و Yahoo.com و Bing.com وحسب علمي بأن هذه المواقع هي أهم محركات البحث على الشبكة العالمية، باحثاً فيها عن

ضالتي، ولا أدري بكل أمانة إن كان أحد قد سبقني إلى ما اكتشفت ، لكن  
حرصني على معرفة الجميع بالأمر، دعاني للكتابة

بعد بحث دام أكثر من ساعتين في محركات البحث باللغتين الانكليزية والعربية  
مستخدما العبارات التالية:

بالانجليزي: iraqi smile - Iraqi Smiling - Iraqi laugh - Iraqi Laughing - Iraqi joking

وبالعربي: "عراقي يبتسم" ثم "عراقي يضحك" ثم "عراقي فرحان" ثم "عراقي خفيف" (كلت بلكت أدغدغ  
محرك البحث!)

كانت نتيجة البحث الانجليزي : على المواقع كلها، ان كل الصور كانت ذات دلالة  
سياسية بحتة، وكانت الابتسامات عرض شاشة الحاسوب، ولكن كلها لسياسين  
عراقيين وغير عراقيين، وآخرون يبتسمون ، فرحين بمشاركتهم في الانتخابات التي  
نراقبها جميعاً حتى "انشوف تاليها شلون راح تصفة". والصور الاخرى لاطفال  
وثيابهم ممزقة و"مخطانته واصلة لحلكه" أو لقوات احتلال أمريكية تبتسم مع  
الاطفال العراقيين الذين يلعبون في الشارع حفاة تحت الشمس. قمة السعادة!

أما نتيجة البحث العربي: على موقع Google.com و Yahoo.com و Bing.com  
كانت النتائج مشابهة بالاضافة إلى صور لا علاقة لها بالعراقيين وكانت لقطط ونعاج  
مبتسمة! لكن بالنسبة لموقع Ask.com فقد كان المصاب جلا، وعلى "كولت"  
(قول) الاخوة المصريين "دي كارسة!" (هذه كارثة!) حيث صدمتني الشاشة عندما  
أشارت النتيجة إلى أنه " لم يعثر على ما تبحث عنه على الشبكة " أو بالانكليزية  
(Your search for عراقي يبتسم did not match with any image results)

وهكذا بقيت "صفنة توديني، وصفنة تجيبني"، لكنني قبل ان اغادر مكتبي عدت  
إلى محركات البحث وأدخلت كلمة عراق باللغتين والنتيجة كانت بانوراما من المآسي  
والمصائب والحروب والاحتلال. ظهرت لي الصور الواحدة تتلو الاخرى كالفيلم  
السينمائي الذي تراه عن حياتك قبل ان تموت على ذمة مخرجي هوليوود

ثم عكست المعني وباللغتين وكتبت: عراقي حزين - sad iraqi ، و "ما كلكم ، اللطم صار بفلس!!!!!!" وعلى وزن قارئ الفنجان والمرحوم عبد الحليم : فكرت، فكرت وفكرت كثيراً، لكنني لم اتوقع ابداً!!!!

قمت وانا متضايق بصراحة، ومر شريط في ذهني من الكوارث التي مرت علينا وتجربتي الشخصية وخروجي من العراق والاهانات التي شهدتها للعراقيين "المتهجلين". عندها تيقنت بأن ما فعله هؤلاء الشباب في موقعهم، كان افضل رد في مواجهة الذين لا يريدون الخير للعراقيين لكونهم عراقيين.

بعدها جلست في استراحة مع زوجتي "خوش شاي مسوية" وحدثتها عن الموضوع واقترحت هي بذكائها ان استبدل كلمة "عراقي" ب "عربي" وباللغتين وكانت النتائج شوي أحسن بفارق ١٠٪ فقط على جميع المحركات، وكان هناك صور لبعض العرب من الفنانين والفنانات في البحث العربي ، وقد كان المحرك الافضل نسبيا من حيث النتائج هو Yahoo.com حيث عثرت على بعض الشباب العربي الخليجي مبتسمين. وكانت هناك صور ذات مفهوم سياسي ضد العرب بشكل عام وتشوه صورة العرب وخصوصاً في محرك البحث الانجليزي. وقد وجدت بين الصور صورة لرجل كبير في السن من صعيد مصر يبتسم وفي عينيه نظرة صادقة. تطلعت على صورة هذا الرجل البسيط وقلت لنفسي، أهلنا في مصر وفي الصعيد خصوصاً وبالرغم من بساطة الحياة هناك وقلة الحيلة في الكثير من الأحيان، إلا أنهم يبتسمون !

وكم من مرة تذكر مصر في جلسة بين الاصدقاء فيقول أحد المصريين لي وللجالسين ووجهه يبتهج بالمحبة "الله يا مصر، ام الدنيا!".

من هنا اتسائل كعراقي هل نحن فعلاً نحب العراق؟

هل نربي اطفالنا على حب الوطن؟

وما مفهومنا لحب العراق؟

وهل الوطن ارض وهواء، نخيل وماء؟

اطرح هذه الاسئلة لنجيب عليها كعراقيين في ما بيننا ، خصوصاً الذين يعيشون في المهجر، الذين لن يعودوا الى العراق حتى يتأكدوا بأن الأمور تحسنت بمستوى مقنع مقارنة للاستقرار النفسي والاقتصادي الذي عثر عليه وتعود عليه البعض في المهجر. ولا عتب على من في الخارج فلم يبق من العمر لأجيالنا سوى النصف أو أقل.

اما بالنسبة للحالة العربية عموماً فيما يتعلق بمحركات البحث فأقول، إذا كانت المسألة تتعلق بالعراق فالقضية مفهومة على الاقل لنا كعراقيين، أما أن يكون العرب وبكل إمكانياتهم المالية والإعلامية لا يجدون مكاناً لهم تحت الشمس، فهذا أمر عجيب!

ثم كررت البحث ليشمل دولاً أخرى مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وإيطاليا والصين وغيرها لمقارنة النتائج، حتى الألمان المعروفون بجديتهم، (هناك نقطة تقول إنهم يضحكون في سراديب بيوتهم حتى لا يراهم احد، حتى هؤلاء وجدتهم يضحكون). تخيلوا !

اترك الجميع ليكتشفوا الأمر بأنفسهم، ولكني أذكر جميع القراء بأن أبائنا كانوا يقولون "تفائلوا بالخير تجدوه!" وأيضاً: "اضحك، تضحك لك الدنيا!"

الكاتب: أبو راية

عند إعادة النشر يرجى ذكر الاقتباس من موقع شباب العراق للاحصاء

[www.iraqsurveys.com](http://www.iraqsurveys.com)